الفصل الثالث

د. ساري نصر الدين - محاضرات ...

الفكر الاقتصادي الأوروبي في العصور الوسطى

تحليل قصور جوانب الفكر الاقتصادي الأوروبي في العصور الوسطى

... - جامعة سطيف 1 (نسخة الكترونية)

المعارف المستهدفة

- تحديد معالم العصور الوسطى وأسباب التسمية.
- إبراز اهم الافكار الاقتصادية السائدة خلال هذه الفترة.
- إبراز جوانب القصور في التفكير الاقتصادي الاوروبي في العصور الوسطى واسبابه.

الكلمات الدلالية

العصور الوسطى، توماس الاكويني، الكنيسة، القيمة، مشروعية الملكية.

محاور المحاضرة

المحور الأول: الخصائص العامة للفكر الإقتصادي الأوروبي في العصور الوسطى

المحور الثاني: النظام الإقطاعي وأثره على الفكر الإقتصادي

المحور الثالث: المعالم الاساسية للفكر الاقتصادي الاوروبي في العصور الوسطى

المحور الرابع: تقييم الفكر الاقتصادي الأوروبي في العصور الوسطى

- أسئلة للنقاش

بساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير - جامعة سطيف 1 (نسخة الكترونية)

تمهيـــــد

العصور الوسطى (Middle Age): ليس هناك إجماع على تحديد الفترة الزمنية التي يمكن اعتبارها بداية العصر الاقطاعي، ولكن الاجماع قد يقترب الى تحديد الألف عام تقريباً التي تمتد بها العصور الوسطى ، وهي مرحلة النظام الاقطاعي، الا ان خلفياتهُ تمتد الى المراحل الاخيرة للأمبراطورية الرومانية، أي أن بداية العصر الوسيط بدأت بسقوط الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس 5 ميلادي، واستمرت لغاية المنتصف الثاني للقرن الخامس عشر 15 ميلادي.

لماذا تعبير: العصور الوسطى (Middle Age)

سميت هذه الفترة من التاريخ البشري المتسلسل بالعصور الوسطى (بالنسبة لأوروبا) لأن المؤرخين (في شتى المجالات الفكرية الاقتصادية والانسانية والفلسفية ....) لاحظوا ازدهار الحضارة القديمة في أوروبا (اليونان والرومان) ثم كانت هناك فترة ركود فكري شديد في أوربا ارتبطت حسب تقسيمات المؤرخين بعصور الظلمات والتأخر الحضاري، ثم عاد الازدهار الفكري في العصر الحديث بالنسبة لاوروبا في اطار فلسفة الحداثة وما بعد الحداثة وما تبعها من توجهات اجتماعية واقتصادية.

لكن الانهيار الفكري والحضاري الأوروبي الغربي في العصور الوسطى يقابله ازدهار حضاري واشعاع فكري اسلامي في الشرق، لهذا من المجحف أن نعمم وصف العصور الوسطى المظلمة على الفترة التاريخية الممتدة بين (400-1450)م على جميع المجتمعات الانسانية الموجودة في تلك الفترة.

المحور الاول: الخصائص العامة للفكر الإقتصادي الأوروبي في العصور الوسطى

تميزت فترة العصور الوسطى في أوروبا بركود فكري واقتصادي كبير، نتيجة لعدة عوامل أهمها سيطرة الفكر الكنسي والتأثير "الديني" السلبي على التفكير المنطقي التطوري. ويمكن تلخيص أهم الخصائص العامة للفكر الاقتصادي الاوروبي خلال تلك الحقبة في النقاط التالية:

- اشتد نفوذ الكنيسة في البدايات الأولى للعصور الوسطى واحتلت مكانة بارزة في حياة الافراد، حتى اصبح نفوذ الكنيسة يأخذ طابع فكري (اي سيطرة فكرية شبه كلية).

- انعكس ذلك على الفكر الاقتصادي، فقد اخذ هذا الاخير صبغة "اخلاقية" واضحة المعالم (ليس هناك تحليل اقتصادي الا في مجال تحريم الانشطة او اجازتها والبحث عن العدل ومقوماته ....)

بإشراف د. ساري نصر الدين محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

- سيطرة النظام الاقطاعي على الحياة الاقتصادية حيث اثر هذا بشكل واضح على تطور الفكر الاقتصادي في تلك العصور، الامر الذي ادى الى جموده نتيجة لجشع الاقطاعيين

- لم يكن لدى مفكري العصور الوسطى في أوروبا تحليل اقتصادي ذو صبغة علمية، ولكن كانت لديهم بعض الأفكار التي تأثرت بالجانب الديني وحاولة التوفيق بين العلوم الدنيوية والدينية.

المحور الثاني: النظام الإقطاعي وأثره على الفكر الإقتصادي

أوروبا في العصور الوسطى خاصة الفترة بين القرن 4 و 10 ميلادي، عانت من تدهور اقتصادي وركود فكري حاد، فقد قامت مجتمعات العصور الوسطى على أساس التقسيم الطبقي بين المالكين للارض والثروة والعبيد، وارتبط هذا ارتباطا وثيقا بالنظام الاقطاعي الذي تطور مع مرور الزمن عبر الاستثمارات الزراعية الكبيرة، وشراء الاراضي في بداية الامر من صغار المزارعين ليستحوذ عليها كبار الملاك (من القادة ورجال الدين والكنيسة خصوصا).

لهذا برز شكلان من الملكية للاراضي: الملكية الاقطاعية الكبيرة من جهة، والانشطة الزراعية الرعوية الصغيرة من جهة اخرى، فاستحوذت الملكيات الاقطاعية الكبيرة على الصغيرة عبر الزمن عن طريق السلب المباشر، وهو الامر الذي اثر كثيرا على النشاط الانتاجي، وعلى تطور المفاهيم المتعلقة بالملكية ورأس المال وعناصر الانتاج بشكل غير مباشر.

ففي ظل النظام الاقطاعي، كانت السيطرة الفكرية للكنيسة كبيرة جدا، فهي كانت تمارس سلطانا فكريا على المجتمع بامتلاكها اقطاعيات كبيرة جدا، لهذا تدخلت في تنظيم العلاقات الاقتصادية وتسطير الشرائع التنظيمة.

كان الفكر والتعليم حكرا للكنيسة، ومعظم المفكرين كانوا من رجال الكنيسة، لهذا كانت معظم الافكار الاقتصادية تصب ناحية تعزيز النظام الاقطاعي وتوطيد اركانه. ونادوا باخضاع كافة اوجه النشاط الاقتصادي لمبادئ الدين المسيحي، لهذا بقي الفكر الاقتصادي حبيسا للتعاليم الدينية الكنسية، مرتبطا بالنظام الاقطاعي من حيث النشاط.

ساري نصرالدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 النسخة الالكترونية

المحور الثالث: المعالم الاساسية للفكر الاقتصادي الأوروبي في العصور الوسطى

كما تكلمنا سابقا، لم يكن هناك تفكير اقتصادي علمي لدى مفكري العصور الوسطى في أوروبا، ولكنهم بحثو في اطار الفلسفة الكنسية عن ماهية الاقتصاد والعلاقات التي تنظمه، وكذلك في إشكالية الملكية ومحدداتها ومشروعيتها، كما تكلمو عن مدى مشروعية النشاط التجاري، وكذلك الفائدة والقيمة ومحدداتها، ويمكن ايجاز ذلك فيما يلي:

أ -هل أعتبر الاقتصاد علم ؟

ساد في العصور الوسطى اعتقاد راسخ بان النشاط الاقتصادي يجب ان يخضع بشكل كامل للتعاليم الدينية الكنسية، لهذا كانت القواعد الاخلاقية هي التي تنظم الحياة الاقتصادية ... كما كانت افكار ارسطو سائدة خاصة فيما يتعلق بالملكية والقيمة وفكرة الثمن العادل.

لهذا يمكن القول ان بوادر التفكير العلمي المبني على اسس منطقية فيما يخص الجوانب الاقتصادية لم تكن موجودة في العصور الوسطى في اوروبا خاصة في البدايات الاولة وفي منتصف العصور الوسطى، الا انه في أواخر العصور الوسطى ظهرت بعض الافكار التي لديها جانب منطقي في تحليل النشاط الاقتصادي وتعزيز التفكير السليم البعيد عن الهيمنة الدينية الكنسية المغلقة.

ب -البحث في إشكالية الملكية ومحدداتها (هل الملكية مشروعة؟)

في البدايات الأولى للعصور الوسطى كانت النظرة للملكية تحكمها اعتبارات دينية فاعتقد رجال الكنيسة ان السعي وراء الثروة وتكوين الملكيات الخاصة يعرض الفرد للهلاك ... فقد ناد القديس أوجستين (Augustine) بان التجارة تبعد الفرد عن الله ... فأثر هذا في السعي نحو تكوين الثروة وزيادة التراكم الرأسمالي الذي يعتبر أحد اهم مقومات النهوض بالاقتصاد.

في منتصف العصور الوسطى ... تعرضت هذه الافكار للنقد الشديد ...حيث ظهر تعارض شديد بين هذا الفكر وبين واقع اقتصادي تنمو فيه الملكية الخاصة (الاقطاعية) وتتطور فيه الانشطة التجارية بشكل متسارع.

ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية و علوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

كما أن (توماس الاكويني) أشهر مفكري العصور الوسطى ... تأثر بفكر ارسطو فيما يخص الملكية الخاصة وابرز اهميتها في تحقيق المصلحة الجماعية، لهذا دافع توماس الاكويني عن النظام القائم على الملكية الخاصة على اساس انها وظيفة اجتماعية تخدم مصالح المجتمع ككل.

ج -البحث في مدى مشروعية النشاط التجاري؟

ارتبط النشاط التجاري بالفكر الاقتصادي المتعلق بالملكية الخاصة ومحدداتها ومدى مشروعيتها، فتوماس الاكويني اتفق مع ارسطو من حيث المبدأ الذي يقول بان التجارة نشاط غير جيد في حد ذاته ولكنه شر لابد منه.

ويجب ان تتوفر شروط حتى تكون التجارة مبررة حسب توماس الاكويني:

- عدالة التبادل

- الاعتدال في الثروة

د -البحث في محددات القيمة وآليات تحديد الثمن العادل؟

تساءل مفكري العصور الوسطى عن ماهية العوامل المحددة للقيمة، وكذلك عن اليات تحديد الثمن العادل، وقد اجمعو على وجود عاملان أساسيان لذلك، اقتصادي وطبيعي، فقد رأى توماس الاكويني بأن العامل الطبيعي يتعلق بالحاجات، واهتم بدور العقيدة والدين في تهذيب الحاجات وترتيبها، اما العامل الاقتصادي فيتعلق بالتكاليف الانتاجية والعمل الضروري للانتاج.

كما نادى توماس الاكويني بتطبيق فكرة الثمن العادل التي بادر بها ارسطو واضاف اليها فكرة الاجر العادل والربح العادل، لكن مع تطور النشاط الاقتصاد بدأت النظرة الى فكرة الثمن العادل تتغير تبعا لتغير حالة السوق، فاصبح الثمن العادل هو ثمن الاتفاق بين طرفي العقد ... ومع تطور النشاط اكثر بدأت تظهر بوادر الالتزام بقانون العرض والطلب الذي في ظله تزول فكرة الثمن العادل.

هـ -البحث في مجال المفاهيم المتعلقة بالفائدة ومدى مشروعيتها؟

ارتبطت فكرة الفائدة بالربا المحرمة طيلة الفترة الاولى للعصور الوسطى، فقد استند الاكويني الى افكار ارسطو وقرارات الكنيسة التي تنص على ان اخذ مقابل نقدي على اساس ارجاع القرض

د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة سطيف 1 - النسخة الالكترونية

النقدي في فترة زمنية اخرى هو امر غير مشروع لان هذا يعتبر بيعا للزمن والزمن ليس في نطاق الملكية الخاصة لهذا فهذا النشاط غير طبيعي اذا فهو محرم.

لكن تطور النشاط التجاري والتعاملات النقدية ونمو الاسواق في اواخر العصور الوسطى، اصبح قبول الفائدة على القروض نشاط متزايد بشكل تدريجي متماشيا مع التوسع الاقتصادي، واصبح رأي الكنيسة غير مهم بالنسبة لاصحاب المال، ما ادى لتكيف الراي الكنسي معهم فسمح باستثناءات في موضوع الربا (الفائدة).

تم تعديل فكرة الفائدة على انها المقابل الشرعي لفرصة الكسب البديلة، اي ان الفرد عند اقراضه مالا لشخص اخر يكون قد اضاع فرصة استثماره وكسب ارباح من وراء هذا الاستثمار اذا لابد من فائدة تعويضية.

- وايضا تم ربط الفائدة بالمخاطرة فالفائدة هي ثمن مخاطرة راس المال حسبهم.

المحور الرابع: نقد الفكر الاقتصادي الأوروبي في العصور الوسطى

- تميز الفكر الاقتصادي الاوروبي في العصور الوسطى بالكثير من الضبابية في تحديد العديد من المفاهيم الاقتصادية، خاصة فيما يتعلق بالملكية ومحدداتها، وكذلك القيمة واليات تحديدها، كما كان فهمهم قاصرا لطبيعة العلاقات الاقتصادية واليات تداخل الانشطة في اطار تفاعل جانب العرض مع جانب الطلب.

- لم يبرز العديد من المفكرين الاقتصاديين خلال تلك الفترة في اوروبا، عدا بعض رجال الكنيسة.

- لم تبرز افكار اقتصادية ساهمت في بناء تنظير اقتصادي متكامل لحل بعض الاشكالات الاقتصادية بشكل علمي ممنهج.

- لم يكن هناك تحليل علمي بل ارتبطت الافكار الاقتصادية في مجملها بالفكر الديني الكنسي.

- كانت هناك سيطرة فكرية شبه كلية للكنيسة على النشاط الاقصادي ... ما اثر على تطور الحياة الاقتصادية بشكل عام.

- طبيعة الحياة الاقتصادية والراكدة وما رافقها من وقائع اقتصادية ارتبطت بالنظام الاقطاعي اثرت كثيرا على تطور الفكر الاقتصادي وساهمت في جموده لفترة طويلة جدا قاربت 10 قرون.

د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية و علوم التسيير - جامعة سطيف 1 (النسخة الكترونية)

تحليل ونقاش:

- كيف كانت النظرة للقيمة في العصور الوسطى؟

- هل الملكية مشروعة حسب توماس الاكويني؟

- ماهي جوانب القصور في فهم الظاهرة الاقتصادية في العصور الوسطى؟ وماهي أسبابها؟

د. ساري نصر الدين - محاضرات تاريخ الفكر الاقتصادي - كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير - جامعة سطيف 1 (نسخة الكترونية)